

ولا وجدت من الفراغ ما يسمح باستمارته من أحد الزملاء ، فلم يبق إلا أن أقول في جبران وكتابة كلمة وجيزة تقرب مراميهِ إلى القراء بعض التقريب

فما تلك الأجنحة المتكسرة ؟

كان الرأي عندي أن المؤلف يرضى إلى الأجنحة الفلسطينية والسورية واللبنانية ، فجبران في صفحات هذا الكتاب يعبر عن الأشجان الموروثة في تلك البلاد ، ثم وجدت في كتابه فقرة تشهد بذلك ، فعرفت أن حكمي على اتجاهاته النفسية لم يكن ضرباً من التخمين .

أهزاه سريانية

لكل أدب من الآداب القديمة خصائص ، وخصيصة الأدب السرياني هي الإسراف في البكاء ، فجبران الحزين هو البقية من روح السريان القدماء .

وعلة الحزن السرياني أو السوري لا تحتاج إلى توضيح ، فأولئك أقوام كان تاريخهم كله سراكاً في عراق ، ولم تكن بلادهم إلا مغترباً يتصاول فيه الفقر والغنى ، والعبودية والحرية ، والخوف والأمان ، بنفض النظر عن احتراب العواطف والشجون وبكاء تلك البلاد لا يمثل العجز ، وإنما يمثل المتب على القضاء ، وقد يراض على الصبر الجميل في بعض الأحيان .

ومن أشهر الأغاني السورية هذا الصوت :

ماني الحال ، وماني الحال

وما في حال ، وماني الحال

خليها لله ، يدبرها الله

وهذه الأغنية هي الصرخة الباقية من بكاء السريان ، وهو بكاء ممزوج بالصفح عن كيد الزمان ، أو الرجاء في عدل القضاء .

مهاجرون بلا أنصار

والتاريخ يشهد أن الهجرة كانت من المناهب السورية في كثير من المهود ، وهو مع ذلك يشهد أن السوريين كانوا في الأغلب مهاجرين بلا أنصار ، فقد بنى أجدادهم الفنيقيون مدينة « مرسيلىا » قبل أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، ولم تحفظ لهم مرسيلىا هذا الصنيع ، فأحقاد أولئك البنائين لا يعيشون اليوم في مرسيلىا إلا تراجمة أو محالين .

سابقة الأوثب العربي لطلبة السنة التوجيهية

الأجنحة المتكسرة

للدكتور زكي مبارك



تمهيد — النية السورية — أحزان سريانية — مهاجرون بلا أنصار — الجليل النادر — الأمل الضائع — أسلوب جبران — مسألة فيها نظر — الثورة على رجال الدين — جرعة جبران — صدق جبران — الأهداء

تمهيد

كنت أعفيت نفسي من إتمام هذه الدراسات النقدية بسبب ما توجب من الإرهاق ، فليس من السهل أن يقرأ المرء كتاباً في كل أسبوع ثم يكتب عنه بحثاً يرتضيه جمهور القراء ، ولكن جماعة من طلبة السنة التوجيهية كتبوا يسألون عن المغازي المطوية في كتاب « الأجنحة المتكسرة » للرحوم جبران خليل جبران ، كما سألت فريق عن « وحى الأربعين » للأستاذ عباس العقاد ، و « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين ، فرأيت أن أغتم ما بقى من الوقت الذي يسبق الامتحان الشفوي لأتم هذه السلسلة من الدراسات ، مع الاعتراف بأنها ليست إلا توجيهات سريعة يراد بها إرشاد القراء إلى طريق الاستقصاء .

وطلبة السنة التوجيهية يذكرون أن الامتحان التحريري سيُعقد في التاسع والعشرين من هذا الشهر ، فليقبلوا عليه بلا تهيب ، وليكتبوا بحرية مصحوبة بالرزاه والمقل ، وليطمئنوا إلى أن المصححين قد يرضون منهم بالقليل إن رأوا فيه بوارق تشهد بأنهم على شيء من الفهم العلمي والنوق الأدبي ، كتب الله لهم التوفيق !

النية السورية

حديث اليوم عن « الأجنحة المتكسرة » لجبران ، وقد ضاق بوقت عن مراجعة ما كتبت عن الأدب الحديث في الديار السورية واللبنانية ، وكان من السهل أن أتضع بكتاب الأستاذ ميخائيل نعيمة عن جبران ، ولكني لم أجده في مكاتب القاهرة ،

أمريكيات وأبناء مخضرمون يعجزون عن فهم لغة الآباء الأصلاء وهنا يظهر « عيب » اللغة العربية ، فهي ليست لغة تقام بسيط ينتفع به الناس في أمور المعاش ، وإنما هي لغة أدب وذوق ، ولغات الآداب والأذواق لا تميز بين الأبناء الدخلاء ، وذلك هو السر في انحسار اللغة العربية عن بعض الأقطار الإسلامية ، وهو أيضاً السر في أن اللغة التي يتكلمها أكثر من مئة مليون لا تنجب في كل عصر أكثر من مائة أديب

كيف يعود الأدب العربي إلى الأمريكتين من جديد ؟
اعتقد أننا خذلنا أولئك الإخوان ، فلم نعاونهم على إعزاز العصبة العربية في البلاد الأمريكية ولم تقدم إليهم من المساعدات المالية مثل الذي تقدم إلى بعض الجمعيات العلمية في الممالك الأوربية هل سمعتم أن داز الكتب المصرية أو مكتبة الأزهر أو مكتبة الجامعة المصرية أو مكتبة الإسكندرية أو مكتبة وزارة المعارف قد اشتركت في المجلات التي تصدر باللغة العربية في المهاجر السورية كما تشارك في المؤلفات التي ينشرها المستشرقون ؟

إلى أهل الغيرة على اللغة العربية توجه هذا السؤال

أسلوب جبران

عرفنا السر في أحزان جبران ، ولم يبق إلا أن ننظر في كتابه الحزين ، فإذا قول ؟
نكتب أولاً كلمة عن أسلوب هذا الكاتب ؛ ثم نغضى في عرض ما في كتابه من دقائق الأغراض

جبران أراد أن يكون أسلوبه زهرة لا شجرة ، فأساء إلى نفسه من حيث لا يريد ، وهل كان يتوهم أن النقد الأدبي سيرف مقاتله بعد حين أو أحايين ؟
أغلب الظن أن جبران كان يجب أن يعرف إخوانه في الشرق أن الحياة في أمريكا لم تنسه خصائص البلاغة العربية ، وهي بلاغة ظلمها بعض أهلها فتوهوها فتوتاً من الزخرف والبريق ، وكذلك شاء جبران أن يكون في كل سطر من كتاباته تشبيه طريف ، أو لمحة فلسفية ، أو رمز إلى غرض ملفوف يحار في تأويله القراء

ولكن ما قصة الزهرة والشجرة ؟

الزهرة غاية في أناقة التلون ، ولكل ورقة من أوراق الزهرة رونق أخاذ ، مع أن أوراقها قد تعد بالعشرات ؛ فهي سحر في سحر وفتون في فتون

ثم هاجر السوريون المحدثون إلى أمريكا ، ولم يتركوا قالة من قالات الخير إلا أضافوها إلى الأمريكان ، فهل تأمركوا ونسوا وطن الآباء والأجداد ؟

إن نواحيهم الموصول يشهد بأنهم في أمريكا غرباء !
فمن أراد أن يعرف سرّ الحزن في الأدب السرياني القديم ، ومصدر اللوعة في الأدب السوري الحديث ، فليذكر أن الاغتراب والاضطهاد هما الأصل في ذلك البكاء .

ومن أجل هذا كان السوريون أحرص الناس على تأييد فكرة العروبة لأنهم يرجون أن تكون وطناً فسيح الأرجاء يفتنهم عن الاتجاه إلى الغرب ؛ ومن الغرب جاء الاغتراب !
ومن أجل هذا أيضاً كان السوري ينقل وطنه إلى كل أرض ليدكره في كل وقت ، عساه يرجع إليه ولو بعد حين
ومن أجل هذا وذاك كان السوري في أغلب أحواله من رجال الأعمال ، ليرحم نفسه من اجترار الأشجان . والنبي في الغربة وطن ، كما قال أسلافنا الحكماء

الجميل النادر

هو جبل لبنان ، الجبل الذي يدعو أبنائه في كل لحظة إلى امتطاء غارب المحيط ليجدوا المجد أو القوت فيما وراء البحار .
وكذلك رحل اللبناني عن الجبل والسمع في عينيه ليواجه العالم بنفس منطوية على الإباء المكبوت أو الهوى الدفين
ولو جمع ما قال المهاجرون اللبنانيون في الشوق إلى ذلك النادر الجميل لكان تحفة رائعة من صور الوجد والحين
السوريون المقربون لا ينسون وطنهم أبداً . وكيف ينسونه وهم مهاجرون بلا أنصار ، ولا عزاء لهم غير تمثل ما في بلادهم من أزهار ورياحين ؟

الرومل الضائع

كان السوريون واللبنانيون قد رفعوا علم العروبة في الأقطار الأمريكية فأنحوا لنا القول بأنهم بثوا « الأندلس » من جديد ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد أنجبوا أديبا من أمثال نعيمة وجبران ؟

ولكن الطبيعة تريد غير ما تريد
الطبيعة قضت بأن يكون لبني العمومة في الأمريكتين زوجات

الثورة على رجال الدين

وغرة كتاب « الأجنحة للتكبرية » هي الصفحات الخاصة بالثورة على رجال الدين ، وهي ثورة يحسها المسيحيون لا المسلمون ؛ ذلك بأن الإسلام لا يعترف بالكهنوت ولا يقيم له أي ميزان ، فالصلاة على الميت تصح من أي مخلوق متم بالإسلام ، وعند الزواج يُكتفى فيه بالإيجاب والقبول ، والمسلم الصادق هو الذي يقدم إلى ربه بلا وسيط

ولا كذلك المسيحية : فهي تعلى رجال الدين طوائف كثيرة من الحقوق ، وتمنحهم حرية التصرف في مصارف (المؤمنين) وكان ذلك لأن المسيحية تفترض أن الزامي في جميع أحواله غاية في الرفق والحنان

والظاهر أن جبران قد اكتوت يدها بيران رجال الدين ، فهو يرجع إلى تجربتهم من صفحة إلى صفحة بلا رحمة ولا إسفاف ، وقد بلغ غاية الشوط فصرح بأن من حق المرأة أن تهجر بيت الزوج لتلقى حبيبها حين نشاء ، بدون معاناة لوخر الضمير ، وحجته أن « المقد » الذي يمضيه « الحب » أصدق من المقد الذي يمضيه « الطران »

فكيف وصل الكاتب إلى هذا الحكم القطيع ؟

إن الإسلام لا يعترف لرجال الدين بأي خصوصية دينية ، ولا يبيحهم التحكم في مصارف المؤمنين ، ومع هذا يخشى المسلم أن تنتاشه ألسنة رجال الدين ، لأن صوتهم هو المسوع في تحرير الشك واليقين ، فكيف يكون إخواننا المسيحيون ؟

الجواب عند جبران ، وهو قد صرح بأن رجال الدين لا يرضعون لغير الأهواء ، وإن كان من الحق أن قرر أن هذا التعميم لا يخلو من الإسراف ، فمقد المسيحية رجال لا يجوز عليهم حكم جبران . وهل يصدق الكاتب الثائر في كل ما يقول ؟

ومع هذا قد صدق هذا الكاتب ببعض الصدق ، لأن رجل الدين في المسيحية يدخل جميع البيوت بدون استئذان — ولا خبا في الشرق — وله يد في تصرف بعض العائلات إلى بعض ؛ وقد يكون صلة الوصل في التوفيق للزواج ، فأجل القطة التي

ولا كذلك الشجرة ، فهي أفتان مختلفات ، وفيها ما يروق وما لا يروق ، هي شجرة يعتدل فيها غصن وتموج غصون ، وتكون عشاً للبلبل كما تكون وكراً للثعبان

الزهرة أجل من الشجرة ، ولكن الشجرة أقوى من الزهرة وأقدر على مقاومة العواصف والأعاصير ، وكذلك يكون الفرق بين الأسلوب العام والأسلوب الزقيق ، كما يكون الفرق بين الطائر الجارح والطائر الغريّد

ولو كان جبران حيناً لأسمته ما لا يجب ، ولكنه اليوم في ضيافة التاريخ والتناول عليه لا يليق

والهم هو تنبيه شيان اليوم إلى أن أسلوب جبران ليس أفضل الأساليب ؛ فهو زهرة لا شجرة ، ونحن نريد أن يكون الأسلوب من صور العنف والظن

مسألة فيها نظر

جبران من أدباء العرب ، وقواد العرب قد فضحوا عمر بن أبي ربيعة حين رأوه يصور معشوقاته بصور المهالكات على شبابه الجليل .

لا عيب في أن يقول الرجل إنه من هوى الملاح ، ولكن ما لا يباب قد يكون في بعض أحواله مما يناق الذوق ، فكيف استجاز جبران أن يجمل حبيبته صاحبة الخطوة الجرثومة في التصريح بلحبا ، وساحية الفضل الأول في الإقدام على « التفضحية » يوم اجتماعاً لآخر مرة في المبدأ الذي جمع بين صورة المسيح وصورة عشروت ؟

قد يجيب بأن جان چاك روسو قد استجاز مثل هذا الصنع ولكن غلب عنه أن روسو لم يتصرف ذلك « التصريح » إلا وهو في عقل الأطفال

جبران قال ما قال وهو في أمريكا « وأما ألم أزر للشرق » كما قال « ميسيه » وهو يسخر من « هوجو » وقد نباح في تلك البلاد ما لا يباح !

الحق أن جبران أساء إلى الذوق العربي ، وجنى على نفسه وعلى محبوبته جناية سبندخل بها الجحيم ، ولكن ألقاه هناك !

من الصلات ، وتلك حال لا يلتفت إليها الأدب الأمريكي كل الالتفات ؛ فمن السهل أن نلجأ لإقبال تلك المرأة على جبران بأنها وأنه (إنساناً من الشرق) وكانت تعيش في بلاد تشغلها (السرعة) عن تعقب خطرات القلوب !

هو فتى عربي ضاقت عنه بلاده ، مع أنها اتسمت لألوف الواعلين !

هو روح شرده الشرق ليدرك سرائر الألم والحنين هو فتى يتحدث عن سلمى وليلى في بلاد لا تعرف غير مرجريت وسوزان .

هو فتى يقول بأن المبدع الوثني صار كنيمة ثم تحول إلى مسجد ، ومعنى ذلك أنه يرحب بانتقال الروح من حال إلى أحوال أما بعد فهل قلت شيئاً من جبران ؟ الشواغل لا تسمح بأن أقول أكثر مما قلت ، وجهد القلم غير قليل !

نكي مبارك

لا تطيع هواه في الزوج من فلان أو فلان إذا كان من أصحاب الأغراض ؟ !

كاد جبران يقنعني بأنه يحارب شخصية حقيقته للطيران « بولس غالب » ؛ فالتصفت بالأستاذ أنطون الجليل تليفونياً لأسأله عن تلك الشخصية فأجلب بأنها شخصية خيالية ، وأقول بأنها شخصية حقيقية ، وسنعرف أخبارها بعد حين ، وإن سترتها للمريض «

والمهم هو أن يسجل النقد الأدبي أن كتاب « الأجنحة المتكسرة » ليس إلا ثورة على رجال الدين في لبنان ، بنض النظر عما في تلك الثورة من صحة أو بطلان النقد الأدبي مؤرخ ، وهو يسجل أعمال الناس ، ومن الظلم أن يُسأل عن تلك الأعمال

جبريت جبران

هي تأثره المكشوف بالأدب الأدبي في القرن التاسع عشر ، وهو أدب جميل - ولكنه عليل - لأن ميزان الحياة في الوجود ولكن الأدب الوجداني في القرن التاسع عشر غاية في الجمال لأنه غاية في الصديق ، وهل ينسى الضمير الأدبي مآسي ميسيه ولا مرتين ؟ !

صدي جبران

ومع هذا جبران صادق في بعض مناحيه الوجدانية ، وهل يستطيع فتى أن يبلغ المشيرين في لبنان بلا آلام ولا آمال ؟ وكيف يكون ذلك الفتى إذا طوّحت به للقادير إلى بلد بعيد بعيد وهو موصول المهد بحبيب لا يرجمه التراب ؟

أوهرام

أهدى جبران كتاب الأجنحة المتكسرة إلى : (M. E. H) وقد صحت أنها لإنسانة أمريكية كانت تنفق عليه لوجه الأدب الرفيع فما السر في عطف تلك المرأة على جبران ؟ ! إن هذا الكتاب يترجم بوضوح ما بين الإنسان والطبيعة

ظهر حديثاً كتاب

حياة عربي

لتأليف أوهرام الأستاذ

محمد عبد الغني حسن

وهو دراسة أدبية انتقادية تحليلية ، على نمط علمي حديث لحياة الأديب في أدبية القرن العشرين قراءة هذا الكتاب حتى على كل رجل وامرأة ، فيه صورة الأدبية العربية للهوية ، والكتابة العربية للثقافة في طرازها الأدبي الرفيع

يطلب من إدارة مجلة المنصف ومن مكتبة الفيدي ٩ شارع عبد العزيز - مصر

وغيره ١٠ عميرة قروش